الجاحظ: وقصة الكندي من كتابه-(البخلاء)

هو أبو عمرو عثمان بن بحر بن محبوب الكناني البصري(١٥٩هـ- ٢٥٥هـ) الشهير بالجاحظ لبروز واضح في عينيه، وكان يقال له الحَدَقي أيضا.

نشأته العلمية وشيوخه:

ولد في البصرة سنة١٥٩هـ في خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين ونشأ يتيما في حجر أمه حيث توفي أبوه وهو صغير.. فنشأ نشأة بائسة،، فلم يكن ذلك يمنعه من التردد إلى حلقات العلم في مساجد البصرة وكتاتيبها فخالط العلماء والرواة ونهل من علمهم وكان مميزا في قوة الحفظ، وقد تهيأ له من الشيوخ أئمة في شتى الفنون ومن أبرز هؤلاء (الأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري والأخفش)، فضلا عن ذلك كان يأتي إلى مِربد البصرة فيأخذ اللغة مشافهة من الأعراب .

شخصيته:

كان الجاحظ ذا شخصية اجتماعية يحب مخالطة الناس وكان مطبوعا على الظرف والدعابة متميزا بخطابه الساخر.

معتقده:

تأثر الجاحظ بإمام المعتزلة في زمانه إبراهيم بن سيار بن هانيء تأثرا كبيرا فأخذ عنه طريقته وتبنى الكثير من آرائه.

أسلوبه الكتابي:

تميز أسلوبه بالوضوح والسهولة والعذوبة والفكاهة والاستطراد بلا ملل حيث دعا إلى تحرر الأسلوب من الجمود والصنعة السائدين قبله فقرب النثر من الحياة وحمَّله همومها فأصبحت اللغة مع الجاحظ تحمل نبض الحياة والناس وتعيش قضاياهم

تصانيفه:

يعد الجاحظ من أغرز كتاب العالم فقد كتب حوالي ٣٦٠ مؤلفا ما بين كتاب مؤلف ورسالة صغيرة وقد طرق في تصانيفه موضوعات شتى، دينية وأدبية واجتماعية ونفسية وتاريخية وأخلاقية..

قصة الكندي من كتابه(البخلاء)

أورد الجاحظ قصصا كثيرة عن البخلاء كقصة الكندي وقصة أبي سعيد المدائني وحديث خالد بن يزيد، ولعل قصة الكندي أطرفها ذلك البخيل الذي يزيد من أجرة بيته على مقدار ما عند المستأجر من الضيوف ويكتب رسالة توضيحية للمستأجر في ذلك والأدهى من ذلك قوله للساكنين: (فإذا طبختم، فردّوا شهوتها، ولو بغرفة أو لعقة، فان النفس يردّها اليسير. فإن لم تفعل ذلك، بعد إعلامي إياك، فكفارتك أن أسقطت غرّة: عبد أو أمة، ألزمت ذلك نفسك أم أبيت) ثم يأخذ اليمين على الساكنين ويلزمهم بإيفاءه ولو بغرفة بحسب قوله، ولكن الكندي على الرغم من بخله إلا أنه كان مفرطا في الطيب إفراطه في البخل ولحسن حديثه وحلو كلامه يحتمل أصحابه بخله وشحته..

النص: ((قصة الكنديّ: حدثني عمرو بن نهيوي، قال: كان الكندي لا يزال يقول للساكن، وربما قال للجار: إن في الدار إمرأة بها حمل، والوحمى ربما أسقطت من ريح الطيّبة. فإذا طبختم، فردّوا شهوتها، ولو بغرفة أو لعقة، فان النفس يردّها اليسير. فإن لم تفعل ذلك، بعد إعلامي إياك، فكفارتك أن أسقطت غرّة: عبد أو أمة، ألزمت ذلك نفسك أم أبيت» . قال: فكان ربما يوافي الى منزله من قصاع السكان «٤» والجيران ما يكفيه الأيام، وكان أكثرهم يفطن ويتغافل.

وكان الكندي يقول لعياله: أنتم أحسن حالا من أرباب هذه الضياع.

إنما لكل بيت منهم لون واحد، وعندكم ألوان.

قال: وكنت أتغدى عنده يوما، إذ دخل عليه جار له. وكان الجار لي صديقا. فلم يعرض عليه الغداء. فاستحييت أنا منه فقلت: لو أصبت معنا مما نأكل. قال: قد، والله، فعلت. قال الكندي:

ما بعد الله شيء. قال: فكتفه والله، يا أبا عثمان، كتفا لا يستطيع معه قبضا ولا بسطا، وتركه ولو أكل لشهد عليه بالكفر، ولكان عنده قد جعل مع الله شيئا.

قال عمرو: بينا أنا، ذات يوم، عنده إذ سمع صوت انقلاب جرّة من الدار الأخرى، فصاح: أي قصاف! فقال، مجيبة له: بئر وحياتك! فكانت الجارية في الذكاء، أكثر منه في الإستقصاء.

قال معبد: نزلنا دار الكندي أكثر من سنة، نروّج له الكراء، ونقضي له الحوائج، ونفي له بالشرط. قلت: قد فهمت ترويج الكراء، وقضاء الحوائج. فما معنى الوفاء بالشرط؟ قال: في شرطه على السكان أن يكون له روث الدابة «١» ، وبعر الشاة ونشوار العلوفة، وألا يلقوا عظما، ولا يخرجوا كساحة . وأن يكون له نوى التمر، وقشور الرمان، والغرفة من كل قدر تطبخ للحبلى في بيته. وكان في ذلك يتنزّل عليهم؛ فكانوا لطيبه وإفراط بخله، وحسن حديثه، يحتملون ذلك.

الألفاظ والمعاني:

الوحمى: المرأة الحامل التي تتوحم

كفارتك: أي: أنك أسقطت ذنبا

غرة عبد أو أمة: الغرة العبد أو الأمة وهي أيضا البياض في وجه الفرس أو مقدمته

روث الدابة: فضلاتها

نشوار: ما تبقيه الدابة من العلف

كساحة: كساحة البيت: مَا كُسِحَ مِنَ التُّرَابِ فأُلْقِيَ بعضُه عَلَى بَعْضٍ. والكُساحة: تُرَابٌ مَجْمُوعٌ كُسِحَ بالمِكْسَحِ.

الأساليب اللغوية:

التوكيد: بـ(إنَّ) في قوله: (إنَّ في الدار امرأة..)

الشرط: تمثل بأداة الشرط غير الجازمة(إذا) في قوله: (فإذا طبختم فردوا..)، وقد ورد الشرط أيضا بـ(إنْ) الشرطية الجازمة في قوله:(فإنْ لم تفعل...)

التقديم والتأخير: في قوله: (إنَّ في الدار امرأة) حيث تقدم خبر (إنَّ) الجار والمجرور على اسمها، وكذلك من التقديم تقديم المبتدأ على الخبر في قوله: (وعندكم ألوان)

النفي: تمثل بالأداة(لم) في قوله: (فلم يعرض عليه الغداء)

القسم": في قوله: (قد والله فعلت)

الاشتقاق والتصريف:

الساكن: اسم فاعل من الفعل(سَكَنَ)، أي: الذي يسكن داره

قِصَاع: جمع(قَصْعة)، بفتح القاف، وتجمع أيضا على(قِصَع)

الأفعال المجردة منها:

قال: فعل ثلاثي مجرد بزنة(فَعَلَ)، باعتبار أصله(قَوَلَ) وعلى هذا فهو من أفعال الباب الأول

كان: فعل ثلاثي مجرد بزنة(فَعَلَ) باعتبار أصله(كَوَنَ) وعلى هذا فهو من أفعال الباب الأول

طبخ: فعل ثلاثي مجرد بزنة(فَعَلَ)، وهو من أفعال الباب الأول

فَطَنَ: فعل ثلاثي مجرد من أفعال الباب الأول، وفيه لغة أخرى(فَطِنَ)، وبهذا يكون من أفعال الباب الرابع

(حَيِيَ)، وهو من أفعال الباب الرابع وموطن الشاهد قوله: (فاسْتَحْيَيْتُ)، ويصح أنْ يقال:(اسْتحيْتُ) بياء واحدة فَأَعَلُّوا الْيَاءَ الْأُولَى وَأَلْقَوْا حَرَكَتَهَا عَلَى الْحَاءِ، فقلبت الياء ألفاً فصار اللفظ(اسْتَحَايْتُ) فاجتمع ساكنان الألف والياء، فحذفت الألف فَقَالُوا: اسْتَحَيْتُ لَمَّا كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: اسْتَحَى بِيَاءٍ وَاحِدَةٍ لُغَةُ تَمِيمٍ وَبِيَاءَيْنِ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَهُوَ الْأَصْلُ. وَإِنَّمَا حَذَفُوا الْيَاءَ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ كَمَا قَالُوا لَا أَدْرِ فِي لَا أَدْرِي.

سَمِعَ: فعل ثلاثي مجرد بزنة(فَعِلَ) وهو من أفعال الباب الرابع ومثله الفعلان(شهِدَ وفَهِمَ)

صاح: فعل ثلاثي مجرد بزنة(فَعَلَ) وهو من أفعال الباب الثاني

الأفعال المزيدة منها:

أسقطت: فعل ثلاثي مزيد بالهمزة بزنة(أفعل)، ومثله الفعل(ألزم)

يتغافل: فعل ثلاثي مزيد بحرفين(التاء والألف) بزنة(تفاعل) ومن معاني الصيغة(التظاهر)، وهو ادعاء الفاعل بحصول الفعل له وهو منتف عنه، نحو: تجاهل وتخاذل، أي: أظهر التجاهل والخذلان.

فكتَّفه(كتَّفَ): فعل ثلاثي مزيد بتضعيف العين بزنة(فعَّل)، ومثله الفعل(روَّجَ)

تنزَّلَ: فعل ثلاثي مزيد بحرفين(التاء وتضعيف الزاي) بزنة(تفعَّل)

النحو والتراكيب:

ربَّما: ربَّ: حرف جر مبني على الفتح(ما) كافة تكف (رب) عن العمل في ما بعدها، فان كان ما بعدها اسما أعرب مبتدأ مرفوعا وإن كان فعلا عمل عمله الوضعي

بعد إعلامي إياك: مفعول به للمصدر إعلام والكاف مضاف إليه حرف خطاب

فاستحييتُ أنا منه:

أنا: ضمير منفصل مبني في محل رفع توكيد للضمير المتصل وهو التاء في(استحييت)

ولو أكل لشهد عليه بالكفر: لو حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط لا محل له من الإعراب

فكانوا لطيبه.... يحتملون ذلك: يحتملون: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لانه من الافعال الخمسة، والواو ضمير متصل مبني في مخل رفع فاعل(ذلك) اسم اشارة مبني في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية.. في محل نصب خبر لكان.